المشهد
العدد 327 - السنة الحادية عشرة- الأحد 15 يناير 2023م - 22 جمادى الآخر 1444هـ

قالت العرب

لم تكوني هنا / مرّت الطيرُ وانتظرتُك تِباعاً / على حافة الكأس / مرّ هواءٌ بعينين
معصوبتين / وفتّش عنكِ / مساءٌ من الأبنوس المرصّع بالمُرّ مَرّ / خيولٌ مسوّمةٌ وأفاع تصلصلُ
أجراسُها / مَرّ سرورٌ وحنّى ذؤاباتِه بغيابكِ شيئاً/وفوق يديّ انحنى ../لم تكوني هنا!.

عالمة موسيقى وأنثروبولوجيا ثقافية تتحدث عن الموسيقى والمرأة فى آسيا الوسطى

راضية سلطانوفا: الموسيقى ستختفى من أفغانستان إذا استمر حكم طالبان

ليس من الممكن حدوث انتفاضة نسائية فى أفغانستان بسبب تعدد الأعراق وحواجز اللغة

تحتل الموسيقى مكانة كبيرة فى آسيا الوسطى، وعلى وجه الخصوص فى أفغانستان، وهو ما أكدت عليه الدكتورة راضية سلطانوفا، عالمة الموسيقى والأنثروبولوجيا الثقافية وهى أستاذ زائر فى جامعة تشارلز فى براج وزميلة فى كلية كامبريدج الإسلامية، والتى درست موسيقى الأوزبك والأقليات العرقية الأخرى فى شمال أفغانستان.

كيف تصمد الحياة الثقافية فى مواجهة الاضطرابات المستمرة؟ هذا ما تستكشفه راضية سلطانوفا وتجيب عليه بشهادات مستفيضة واتصالات شخصية ومحادثات مع مجموعة متنوعة من الرجال والنساء الأفغان، كما تتناول القضايا الأساسية المتعلقة بالجنس، والهوية، والتقاليد، وخاصة دور الموسيقى كعنصر حيوى للبقاء، وذلك من خلال فيلمها القصير وكتابها الذى نشرته تحت عنوان «أفغانستان المحرومة: المرأة والثقافة وطالبان».

× ما مدى اهتمامك بالأوزبك الأفغان وموسيقاهم؟ ما نوع الموسيقى التى درستها؟

يمكن العثور على الإجابة على هذه الأسئلة فى فيلمى الوثائقى القصير «موسيقى الأوزبك فى شمال أفغانستان» وهو فيلم مدته ٣٥ دقيقة (أوزبكى مع ترجمة إلى الإنجليزية، برعاية المجلس الثقافى البريطاني، وتحرير عثمان طفيل) الذى أنتجته فى عام ٢٠١٣ ، هو قصة بقاء ثقافى رواها الموسيقيون وفنانو الأداء الذين قابلتهم عام ٢٠٠٦.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٩٣، كنت محظوظة لتلقى منحة من جامعة أوتو فريدريش فى بامبرج بألمانيا، لنسخ الأغانى الشعبية الأوزبكية من شمال أفغانستان، والتى سجلتها الدكتورة إنجبورج بالدوف فى ١٩٧٧-١٩٧٨، أى قبل الغزو السوفيتي، وهكذا تعاملت مع الأغانى الأوزبكية المسجلة على ستة أشرطة، حيث تم نسخ نصوص كل هذه الأغانى ونشرها فى مجلدين كبيرين بعنوان «مواد عن الأغنية الشعبية لأوزبك أفغانستان» و «سلسلة الإسلام والإثنولوجيا» الذى نشره (A.Gehling (Emsdetten فى عام ١٩٨٩ وكان شرف المشاركة فيهما، ومع ذلك، لم يتم النظر إلى هذه الأغانى الأوزبكية من وجهة نظر موسيقية، رغم أن الأغانى كانت جميلة جدًا، وكان هناك الكثير منها.

وقضت الدكتورة إنجبورج بالدوف، عالمة فقه اللغة وباحثة بارزة متخصصة فى اللغات والثقافات التركية فى العالم، عامين فى شمال أفغانستان متنقلة من قرية إلى أخرى، وتسجل الأغانى وتلتقى بالموسيقيين المحليين. لذلك، فى عام ١٩٩٣ جئت إلى جامعة بامبرج للعمل فى هذا المشروع، لقد تأثرت بشدة بحجم المادة. ففى الوقت الذى تلقيت فيه المنحة، كان الاتحاد السوفيتى قد خسر بالفعل الحرب فى أفغانستان وانسحبت قواته من هناك. نحن مثل كل من عاش فى الاتحاد السوفيتي، نعرف القليل عما كان يحدث فى أفغانستان، لأنه لم تكن هناك تغطية للحرب فى الصحافة عمليًا.

بالطبع، أثناء الحرب، كانت الموسيقى هى أقل ما يقلق هذا البلد، ولهذا كان من المثير لاهتمامي، كعالمة فى الموسيقى، أن أجد كنزًا دفينًا غير معروف من التسجيلات والأغاني، على الرغم من نَسخ كلمات الأغاني، إلا أن الأغانى لم تتم دراستها من الناحية الموسيقية، لذلك حاولت المساعدة فى النَسخ الموسيقية، كانت هذه نقطة البداية - لأول مرة أصبحت مهتمة بشمال أفغانستان وموسيقاها وثقافتها.

نظرًا لأن عددًا كبيرًا من الأوزبك يعيشون فى شمال أفغانستان (وفقًا للعلماء - تقريبا ٥ ملايين)، يُعتقد أنهم هاجروا هناك بعد ثورة أكتوبر العظمى عام ١٩١٧، لكن فى الواقع عاش الأوزبك هناك منذ قرون، السكان الأوزبكيون موجودون تاريخيًا هناك منذ فترة طويلة. إذا التفتت إلى خريطة آسيا الوسطى، فسترى أوزبكستان على الجانب الأيمن، وعلى الجانب الأيسر - الجزء الأوزبكى من أفغانستان، الواقع على الضفة اليسرى لنهر آمو داريا، المعروف تاريخيًا باللاتينية بإسم Oxus، على أى حال عندما عثرت على تسجيلات الأغانى الشعبية القديمة هذه كانت باللغة الأوزبكية، كانت جميعها جميلة للغاية وذات ألحان جذابة.

لقد جمعت إنجبورج بالدوف عددًا كبيرًا من أغانى الحب المصحوبة بآلات موسيقية، وأغانى النساء اليومية مثل التهويدات وأغانى الأعياد وأغانى الأطفال والأغانى الدينية. لقد أصبحت الأنواع المختلفة من الأغانى الأوزبكية من أفغانستان اكتشافًا جديدًا لي، ففى أوزبكستان السوفيتية اختفت العديد من القطع الموسيقية ذات الطراز الشعبى القديم تمامًا بسبب السياسة السوفييتية فى رفض التراث التقليدى «الإقطاعي» القديم. فقط من خلال تسجيلات الأغانى الأوزبكية القديمة يمكن للمرء أن يفهم مدى ثراء كل هذا ، ومدى أهمية أداء الأغانى الأوزبكية القديمة التى تم حفظها على الجانب الأوزبكى من أفغانستان وعلى الضفة الأوزبكية لنهر آمو داريا، وبالاستماع إليهم كان من السهل الشعور بالصلة الوثيقة بين الثقافة الأوزبكية الأفغانية وثقافة البر الرئيسى لأوزبكستان وكلما قمت بنسخها أكثر، زاد اهتمامى بهذه الأغانى وبأداء الموسيقيين الأوزبكيين الأفغان، لقد كان بعض الموسيقيين المشهورين مثل مامات من عشى وسبزى جول وتاج محمد أيقونات حقيقية لعشاق الموسيقى المحليين بأغانيهم الجميلة وأحياناً المرتجلة مثل «Kazkah kuis» التى تم أداؤها ببساطة برفقة دافا (الطبلة الاطارية) أو آلة الدومبرا وفى هذا كانوا قريبين جدًا من ثقافتنا فى آسيا الوسطى، على الرغم من أن شمال أفغانستان لم يتم تمثيله عمليًا فى العلوم السوفيتية وكان غائبًا عن الوعى العام فى «آسيا الوسطى السوفيتية».

لذلك، بالطبع، كان الأمر بالنسبة لى أشبه باكتشاف عالم جديد، والذى دخلت فيه بالصدفة، بفضل المنحة الدراسية من جامعة بامبرج، ومنذ ذلك الحين، تلقيت المزيد من المنح الدراسية لمواصلة بحثى فى هذه المنطقة ومتابعة الثقافة الأفغانية ، حيث لجأت إلى البحث عن بيانات جديدة فى الأرشيفات الشهيرة حول العالم (مؤسسة سميثسونيان، ومكتبة الكونجرس، والمكتبة الوطنية الفرنسية، والأرشيف الصوتى للمكتبة البريطانية، وأرشيف التسجيل الصوتى فى فيينا) وعندما ذهبت إلى أرشيف فيينا للتسجيلات الصوتية، المعروف بمجموعته الضخمة من التسجيلات الصوتية، كان هناك الكثير من الاكتشافات الجديدة فى انتظاري، على سبيل المثال، سجلات علماء الإثنوجرافيا النمساويين ماكس كليمبورج وهيرمان ماركوس بريسل، الذين وثقوا معلومات نادرة عن أفغانستان، ومع ذلك، نظرًا لأنهم كانوا يشاركون بشكل أساسى فى دراسة الإثنوجرافيا واللغات، فقد قاموا بأرشفة تسجيلات الأغانى هذه فى فئة «اللغات» وليس فى قسم «الموسيقى»، لذلك ظلوا غير معروفين من الناحية الموسيقية.

لقد وجدت أن أول دليل علمى على التراث الشعبى للأغانى الأوزبكية فى الجزء الشمالى من أفغانستان قد استقبله بالفعل عالم الإثنوجرافيا النمساوى ماكس كليمبورج فى عام ١٩٥٨ وهيرمان ماركوس بريسل فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٧ وهذا يعنى أن النمسا كانت أول دولة تقوم بدراسة الثقافة المتعددة الأعراق الغنية فى أفغانستان. لقد كان هناك عدد كبير من تسجيلات الأغانى الشعبية التى كانت تنتظر أن يكتشفها علماء الموسيقى، لذا بفضل منحة دراسية نمساوية (بالمناسبة، إنجبورج بالدوف هى أيضًا عالمة نمساوية) أتيحت لى فرصة الوصول إلى هذه الأغانى الأوزبكية القديمة. لاحقًا، كنت محظوظة لتلقى منحًا لهذه المشاريع من الأكاديمية البريطانية والمجلس البريطانى وزيارة واشنطن العاصمة ومكتبة الكونجرس، إلخ.

يبلغ عدد سكان أفغانستان ما يقرب من ٤٠ مليون نسمة، وأفغانستان دولة بها ٤٠ لغة ثانوية، لكن اللغة الرسمية هى الدارى الفارسية (الفارسية - داري). لقد تم إجراء بعض الأبحاث القيمة للغاية حول الموسيقى فى أفغانستان منذ عام ١٩٦٠ فى المدن الأفغانية الرئيسية فى كابول وهيرات بواسطة هيرومى لورين ساكاتا وجون بيلى وفيرونيكا دوبليداى وتبعهم الباحث الأمريكى مارك سلوبين، الذى سافر إلى هناك فى السبعينيات، أى منذ أكثر من ٥٠ عامًا، للبحث فى الموسيقى الشعبية الريفية الإقليمية فى شمال أفغانستان. لكن بعد ذلك، غرقت أفغانستان فى وقت صعب للغاية من ٤٠ عامًا من الحرب المستمرة، مما حال دون إجراء المزيد من الدراسة والبحث.

شجاعة الوقوف فى وجه طالبان

● **أخبرينا من فضلك عن كتابك الجديد «أفغانستان المحرومة: المرأة والثقافة وطالبان»**. كيف تغيرت المرأة الأفغانية مؤخرًا منذ استيلاء حركة طالبان على السلطة؟ هل يجدون الشجاعة للوقوف فى وجه طالبان؟ هل يتواصلون مع الحركات النسائية العالمية وكيف يفعلون ذلك؟

- كتابى قيد النشر وفى مراحل الإعداد الأخيرة، أنا ممتنة بشكل خاص للمحرر الدكتور ليستر كروك، ومدير التحرير هاريت فيلدينج فى Pen and Sword، لإعداد هذا الإصدار.

مع صعود حركة طالبان ٢، قامت النساء الأفغانيات بعدة محاولات للتظاهر فى شوارع المدن، لكن هذه المحاولات تم إيقافها وقمعت بوحشية من قبل الحكومة، فلا تحظى المرأة الأفغانية بفرص حقيقية فى مثل هذه الأنشطة، على الرغم من أن بعضهن طبيبات محترفات أو مذيعات بالتليفزيون ولكن حتى هم فقدوا وظائفهم الآن، أما القلائل المتبقين، الذين حافظوا على وظائفهم، فاضطروا لارتداء الحجاب والتزام الصمت. بينما فى إيران، على سبيل المثال، خرجت مظاهرات نسائية مؤخرًا فى جميع أنحاء البلاد وحول العالم، بينما فشلت احتجاجات النساء الأفغانيات فى النجاح أو الاتحاد مع الحركات النسائية العالمية.

ففى أفغانستان، ليس من الممكن حدوث انتفاضة نسائية على الصعيد الوطني، لأنهن ببساطة ليس لديهن مجتمعات متصلة على نطاق واسع فى جميع أنحاء البلاد، سبب آخر لعدم قدرتهن على الانتفاض ضد الاضطهاد هو أن أفغانستان هى فى الأساس بلد متعدد الأعراق، تتكون الدولة من العديد من المناطق، ولكل منها حكومتها الخاصة، وقواعدها الخاصة ولغتها الخاصة، وبالتالى فإن حواجز اللغة الناشئة والتنوع العرقى تمنعهم بالفعل من الاتحاد، بالنسبة للنساء بشكل خاص، هذه مشكلة حقيقية، كما انه ليس للمرأة الأفغانية الحق فى التصويت، فهى تعيش فى حرب واعتقالات وتقييدات وسجون مستمرة منذ ٤٠ عامًا، لذلك من الصعب عليها تحدى الوضع السياسى الحالي.

عندما بدأت دراسة موسيقى النساء الأفغانيات، كان عليّ أن أبحث فى وضعهن بشكل عام وأن أتعلم بعض الحقائق عنهن، لقد أصبت بالفزع من تاريخهن وحياتهن الصعبة، فيما يلى بعض الإحصائيات: يبلغ معدل الخصوبة الإجمالى فى أفغانستان حوالى خمسة مواليد لكل امرأة، على الرغم من أن معدل وفيات الأطفال هو الأعلى فى العالم. حوالى ١٠٪ من المواليد الجدد يولدون ميتين، مما يعنى أنه حتى الولادة كانت دائما بمثابة اليانصيب بالنسبة للنساء الأفغانيات، عند الولادة لا يعرفون ما إذا كان الطفل سيولد حيا أم ميتاً وما إذا كان سيعيش. حتى الآن، متوسط العمر المتوقع فى البلاد هو ٤٠ عامًا فقط للنساء و ٤٢ عامًا للرجال، كما أن غالبية سكان البلاد هم من الشباب ٤٢٪ منهم تقل أعمارهم عن ١٥ سنة. علاوة على ذلك، فإن ٤٣٪ من الرجال متعلمون ، بينما ١٣٪ فقط من النساء الأفغانيات متعلمات. هذا هو الواقع القاسى لوجودهم، هل يمكنك أن تتخيل أى بلد صعب تعيش فيه الأفغانيات؟! على سبيل المثال، فى عام ٢٠٠٢، كان هناك ما يقدر بنحو ٩٠٠٠٠٠ فتى فى المدرسة، فى حين تم استبعاد النساء والفتيات بشكل شبه كامل من المجتمعات التعليمية والفرص. من الواضح أنه من الصعب للغاية بالنسبة للفتيات والنساء الأفغانيات البقاء على قيد الحياة والحصول على التعليم والعيش حياة طبيعية. فى عام ٢٠١١، كان هناك نحو ٨ ملايين طالب فى أفغانستان ، ثلثهم من النساء. ولكن الآن ، بعد عودة طالبان ٢، تم الإعلان مرة أخرى عن حظر تعليم الإناث ، الأمر الذى ينذر بكارثة للبلاد.

لذلك، نلاحظ أنه قبل عودة طالبان ٢، تم منح النساء بعض الفرص للتعليم، فقد سُمح لهن بممارسة مهن الطب والإعلام وفى مجال العدالة، الآن بعد عودة طالبان ٢، ليس لهؤلاء النساء الحق فى الدراسة والعمل والتواجد كمقدمى برامج تلفزيونية. وهكذا عادت العصور الوسطى مرة أخرى، عندما لم يكن مسموحًا للمرأة بالقيام بالكثير من حيث المشاركة فى الحياة العامة.

راضية سلطانوفا

لولا البرقع كانوا سيصادرون جميع أجهزتى فى كمائن طالبان لكنى أخفيت كل أجهزتى تحت الحجاب

ماهواش وسابزى جول وإلاها سرور أشهر المطربات الأفغانيات وهن أصبحن مضطرات للعيش فى الخارج

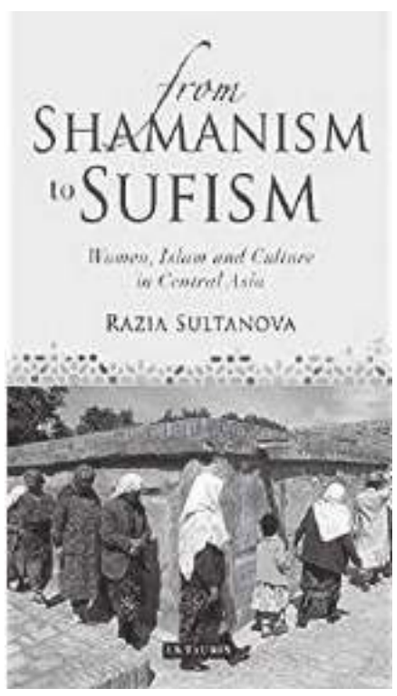

يمكننا أيضًا أن نتحدث عن كيفية معاملة النساء الأفغانيات، خاصة خلال فترة طالبان ١، وفقاً لوثائق أصلية. أستشهد بمرسوم صادر عن (هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى نوفمبر ١٩٩٦: «أيتها النساء، لا يجب أن تخرجن من المنزل. وإذا خرجتن فلا يجب أن تكن مثل أولئك الذين يخرجن بالملابس المثيرة للشهوة والمكياج وأن يراك كل رجل كما كان الحال قبل ظهور الإسلام»، كما تم تطبيق نفس المحظورات والقيود على الموسيقى، حيث تم تمرير قانون يحظر الموسيقى المذاعة فى المتاجر والفنادق والمركبات والبرامج الحوارية وشرائط الكاسيت والتسجيلات، أى كل ما كان متاحًا بشكل أو بآخر قبل وصول طالبان ٢.

وهكذا، حتى عام ٢٠٢١ تمتعت النساء ببعض الحرية والفرص الجديدة، بينما أصبح كل شيء الآن محظورًا مرة أخرى، فقد تم حظر الموسيقى والرقص فى حفلات الزفاف، كما أفاد أحمد رشيد، الخبير الأفغاني المشهور عالميًا، أن حركة طالبان حظرت أيضًا جميع أشكال الترفيه، إليكم بعض الاقتباسات من خطاب وزير التعليم الأفغانى الملا محمد حسن أخوند: «بالطبع، نحن نفهم أن الناس بحاجة إلى الترفيه لكن يمكنهم الذهاب إلى الحديقة والنظر إلى الزهور، ومن ذلك سيتعلمون عن الإسلام». وهكذا، وبحسب الملا محمد حسن أخوند، فإن طالبان تعارض الموسيقى لأنها تشتت الذهن وتجهده وتتعارض مع دراسة الإسلام، فكل الموسيقيين الذين حاولوا النجاة خلال حركة طالبان الأولى فروا إلى باكستان، والآن الوضع هو نفسه كل من كانت لديه الإمكانيات غادر البلاد وانتقل إلى الخارج مع عائلاتهم بحثًا عن الأمان.

× نحن نعلم أن العديد من الخبراء يرون أفغانستان جزءًا من آسيا الوسطى. فما الذى يميز المرأة الأفغانية عن نساء آسيا الوسطى؟

- بادئ ذى بدء، قسوة الظروف المعيشية المتمثلة فى الحجاب الذى ترتديه النساء الأفغانيات، البارانيا (البرقع)، أو كما يسميه السكان المحليون، الشادري، هى علامة على حكم طالبان، بالنسبة للنساء المحليات، فإن ارتدائه أمر فظيع كما اكتشفت من خلال التفاعل معهم، منذ اللحظة الأولى للوصول إلى أفغانستان يتعين على كل امرأة أن ترتدى الحجاب، وهو أمر غير معتاد بالنسبة لنا نحن نساء آسيا الوسطى، رغم أننى وجدت على الفور ميزة فى ارتدائه، فقد أتيت إلى أفغانستان للتسجيل والتواصل مع الموسيقيين، لذلك كان معى دائمًا كاميرا فيديو ومسجل صوت وكاميرا.

لقد زاد البرقع من فرص بقائى هناك من خلال المساعدة فى إخفاء المعدات، عندما سافرت مسافات طويلة من كابول إلى مزار شريف مع عائلات الموسيقيين، عند جميع نقاط التفتيش العديدة أثناء رحلتنا، يتم إيقاف السيارة من قبل الجنود ثم يبدأوا بتفتيش كل شيء. بالتأكيد كَانا سيصادرون جميع أجهزتى إذا وجدوها. لكنى أخفيت كل أجهزتى تحت الحجاب، وبقيت فى أمان، لذا فى وضعى كان الحجاب هو الطريقة الوحيدة لحمايتى وحماية تسجيلاتي.

لقد كانت الرحلة إلى أفغانستان اكتشافًا بالنسبة لي، على الرغم من أننى قرأت الكثير عن هذا البلد قبل الرحلة. ففى بلدان آسيا الوسطى، حتى قبل مائة عام، عاشت جداتى فى ظروف معيشية مقبولة إلى حد ما، عندما زرت قريتنا فى آسيا الوسطى، رأيت فى المنازل كل أثاث المطبخ الضرورى - الطاولات وأسطح العمل المصممة خصيصًا للطهي، الا أن نساء القرية الأفغانية لا تتمتعن حتى بهذه الكماليات البسيطة - فهن يطبخن حرفيًا الطعام لعائلاتهم على الأرض دون الوصول إلى أى من وسائل الراحة المنزلية.

● **أخبرينا عن المغنيات الرائعات فى أفغانستان اللواتى درستيهن؟**

- من بين أشهر المطربين الأفغان، هناك عدد قليل فقط من النساء، لكن أشهرهن ماهواش، التى ولدت عام ١٩٤٧، وعندما اندلعت الحرب فى البلاد هاجرت إلى كاليفورنيا وهى تعيش الآن هناك، وقد أتيحت لى الفرصة منذ سنوات عديدة للاستماع بأدائها هنا فى لندن فى قاعة ألبرت الملكية.

كما كان هناك فنانة أفغانية أوزبكية اسمها سابزى جول (١٩٥٧-٢٠١٧) عندما التقيتها فى عام ٢٠٠٦ ، كانت فى بدايتها، كانت مغنية الزفاف الوحيدة فى شمال أفغانستان، كان لقاءها تجربة لا تُنسى بالنسبة لي. فى أوزبكستان على سبيل المثال، هناك العديد من مغنيات الزفاف ولديهن العديد من الطالبات اللائى يدربنهن، وفى حفلات الزفاف المحلية عادة ما يؤدون مجموعة من أغانى الزفاف النسائية الخاصة، لكن فى أفغانستان، واجه مطربو حفلات الزفاف العديد من الصعوبات ولم يُسمح لهم بتدريب متدربين.

كانت سابزى جول امرأة رائعة والوحيدة التى تؤدى هذا النوع، لحسن الحظ، قام اللواء عبد الرشيد دوستم بدعمها، الجنرال دوستم المولود فى شيبارجان هو من أصل أوزبكي، دافع عن القرى الأوزبكية والتركمان، كانت أرضه يعيش بها الناس فى شمال أفغانستان بأمان أكبر مقارنة بأجزاء أخرى من البلاد.

فى مقابلتى مع سابزى جول كانت فخورة جدًا بأن الجنرال دوستم لا يمكنه إقامة حفل ترفيهى واحد بدونها. كانت تؤدى بانتظام فى حفلات الاستقبال الخاصة به. ومع ذلك عندما سألتها من يمكن أن يكون خليفة لها فى غناء زفاف النساء، أجابت أنه طالما بقيت طالبان فى السلطة فلن يكون لديها طلاب، لا تستطيع المرأة العازبة أو الفتاة المراهقة الوصول إلى معلم من أحد أطراف القرية إلى الطرف الآخر بدون مرافق، وبدون فرصة للالتقاء والدراسة والممارسة، بالطبع لا يمكن أن يتم نقل المعرفة.

ومع ذلك، لا يزال هناك عدد قليل من فنانى البوب الأفغان الجديرين بالملاحظة فى هذه الأيام، لقد سنحت لى الفرصة فى لندن، لمقابلة إلاها سرور التى أطلقت مؤخراً ألبومها المدمج "Songs of Our Mothers"، إلاها مغنية بوب ولدت عام ١٩٨٨ فى إيران، لكن عائلتها انتقلت بعد ذلك إلى موطنها أفغانستان ، لتبدأ كل مشاكلها، فقد أرادت أن تصبح مغنية وظلت تحلم بهذا الأمر لفترة طويلة، لكن تحطمت أحلامها بعدما رفض والدها وطلب منها أن تنسى الأمر، ومع ذلك دخلت مسابقة غناء تلفزيونى بإسم مستعار، وفازت لأن صوتها كان قويًا وجميلًا، لتصبح بين عشية وضحاها مشهورة فى كابول، لكن ذلك كان خطراً على سلامتها، فاضطرت أن تترك أسرتها على الفور، بعدما أخبر الجيران والدها أنها ظهرت على التلفزيون وفازت بالمسابقة، بطريقة ما تمكنت من الفرار للخارج، التقيت بها فى عام ٢٠١٢ فى لندن وهى تعيش الآن فى سويسرا، هى فتاة متعلمة تعليماً جيداً حاصلة على شهادة من جامعة لندن. شهاداتها حول مدى صعوبة واستحالة أن تكون مغنية أفغانية محترفة لتؤكد مرة أخرى أن الحياة فى أفغانستان اختبار صعب، خاصة بالنسبة للنساء المحترفات.

● **هل يمكنك إخبارنا بالمزيد عن الفيلم الوثائقى الذى صنعته عن رحلتك إلى أفغانستان؟**

- يحتوى فيلمى الوثائقى القصير على بعض التفسيرات عن رحلتى إلى أفغانستان، بعد سنوات قليلة من عودتى علمت أن بعض الموسيقيين الأوزبك الذين قابلتهم فارقوا الحياة. فى ذلك الوقت اعتقدت أننى سجلت هذه التسجيلات بكاميرا الفيديو الصغيرة المحمولة باليد فقط لنفسى وطلابي. ومع ذلك، أدركت لاحقًا أن مقاطع الفيديو الخاصة بى كانت الدليل الوثائقى الوحيد لهؤلاء الموسيقيين الرائعين الذين قابلتهم فى أفغانستان. لحسن الحظ، يمكن تحويل لقطاتى إلى فيلم وثائقى مدته ٣٠ دقيقة لتكريم أساتذة الموسيقى هؤلاء.

فى الفيلم الوثائقي، تستمتع النساء الأفغانيات بالتجمع معًا من أجل العيد (الاحتفال بنهاية شهر رمضان فى الثقافات الإسلامية) وغيرها من المناسبات الدينية، يغنون أغانيهم الدينية، وأغانى النكات والتهويدات، وهذه الأغانى تنقلها النساء إلى الأجيال الشابة، فى الواقع، العيد هو أهم وقت يمكنهم فيه الاجتماع معًا للاحتفال بنهاية رمضان، سترون ثلاثة أجيال من النساء: جدات ، أمهات ، وفتيات صغيرات يغنين الأغانى معًا باللغة الأوزبكية، مما يدل على كيفية بقاء هويتهم الوطنية بفضل اهتمامهم المشترك بالثقافة والتجربة الموسيقية المشتركة. وبالطبع، فإن هذه الأنواع تعنى الكثير للأجيال الشابة التى تسير على خطاهم.

يعتبر الفصل بين الجنسين من أهم العوامل التى تحدد حياة المرأة فى الدولة اليوم، هذه مسألة مهمة جدا فى المجتمع الأفغاني، عندما يولد صبى فى عائلة، يصاحب هذا الحدث احتفال ضخم، لكن الطفلة المولودة حديثًا عادة ما تكون صامتة، فى بعض الأحيان لا يخبرون أى شخص حتى عن ولادة فتاة، لأن هذا لا يعتبر حدثًا بهيجًا. ولا يزال هذا الموقف تجاه الجنس فى المجتمع دون تغيير، لذلك ليس من الغريب أن تكون الأغانى الشعبية التقليدية الأفغانية - التهويدات - موجهة إلى الأولاد، لذا من المثير للاهتمام الاستماع إلى أغانى المطربة الشعبية إلاها سرور التى كتبت العديد من الأغاني، بما فى ذلك التهويدات، التى استبدلت فيها البطل «الصبي» بفتاة، ففى تهويداتها، تكون الفتيات مركز الاهتمام، حيث كتبت أغنية تقول: "يا فتاة، لقد جئت إلى عالم صعب، لكننى أعتقد أنك ستفوزين. معركتك ستكون قتالًا لنفسك، ستحققين كل ما خططت لتحقيقه، وستكونين سعيدة عندما تحققين هدفك أيتها الفتاة".

إنه أمر مؤثر للغاية ويمكنك أن ترى أن هؤلاء النساء اللواتى عانين الكثير من المصاعب وحققن شيئًا ما يعتقدن أنه يمكن اعتبار الموسيقى نوعًا من البركة لجيل جديد من الفتيات. تشجعهم الموسيقى على أن يكونوا أقوياء، وأن يواصلن القتال على أمل أن يصبحن محترفات ويخرجن من هذا البلد ، وهو ما يُنظر إليه على أنه نجاح.

● **غالبًا ما تكون موسيقى بلدان آسيا الوسطى سمة مميزة للمنطقة. كيف برأيك تجذب السياح والأجانب؟ ما نوع الموسيقى التى تسمعها لأصدقائك عندما تتحدثين عن آسيا الوسطى؟**

- موسيقى آسيا الوسطى قوية جدًا وهى واحدة من أكثر مكونات التراث الثقافى تأثيرًا فى هذه المنطقة. وهى متعددة الأوجه، وهناك العديد من الأنواع التى جاءت من طبقات مختلفة من المجتمع وأزمنة مختلفة من تاريخها. ولكن بصرف النظر عن الموسيقى ، فقد ورثنا العمارة فى العصور الوسطى والشعر الكلاسيكى والفنون البصرية والحرف اليدوية والعديد من التقاليد الأخرى.

أعزف على آلة الدوتار الأوزبكية، وهى الآلة المفضلة لدي، وأتعلم الآن دومبرا الكازاخستانية فهناك العديد من أوجه التشابه بين هاتين الألتين الوتريتين الرئيسيتين، على الرغم من بعض الاختلافات البصرية، كما أنه هناك أنواع ملحمية تشكل جزءًا كبيرًا من ثقافة كازاخستان بالإضافة إلى التراث الأوزبكي، لكننا جميعًا ننتمى إلى العالم الناطق باللغة التركية لذا فهى تجعلنا واحدًا. تاريخيا، فى آسيا الوسطى، كان الأوزبك والتركمان والطاجيك شعباً مستقراً، فى حين أن الكازاخيين والقرغيز هم من البدو الرحل، لكن فى عصرنا، كل شيء مختلط إلى حد كبير، أعتقد أن هذا يفسر العديد من الزيجات المختلطة بين كل هذه المجموعات العرقية والجنسيات، أعتقد أن لدينا قواسم مشتركة أكثر من الاختلافات. تجذب الموسيقى، إلى جانب التراث التقليدى المحلى الآخر، سنويًا مئات الآلاف من السياح والزوار الأجانب من جميع أنحاء العالم.

● **هل درست قضايا النوع الاجتماعى فى هذه البلدان؟ إذا كان الأمر كذلك، هل يمكنك توضيح ما هو الفصل بين الجنسين، وكيف تختلف النساء فى هذه البلدان المحددة عن بعضهن البعض؟ ما الذى يميز النساء فى آسيا الوسطى الآن وأثناء الاتحاد السوفياتي؟**

- لقد درست الجنس فى الموسيقى بأكثر الطرق تفصيلا، كنت أول باحث يقوم بتطوير دورة جديدة حول النوع والموسيقى من الصفر أكاديميا فى المملكة المتحدة وقمت بتدريس الدورة من ٢٠٠٤-٢٠٠٦ فى SOAS، جامعة لندن.

فى الاتحاد السوفيتي، لم يكن النوع الاجتماعى على نفس القدر من الأهمية فى الغرب، فى النظام السوفياتي، كانت قضية المساواة بين الجنسين واحدة من القضايا الرئيسية فى السياسة، وطالبت الدولة بأن تتلقى النساء التعليم والعمل على قدم المساواة مع الرجال. فى التاريخ الحديث لآسيا الوسطى، كانت هناك سيدة رئيسة فى قيرغيزستان - روزا أوتونباييفا (فى ٢٠١٠-٢٠١١)، كما ان هناك عدد كبير من الوزيرات فى كازاخستان وأوزبكستان.

أتذكر من تجربتى الشخصية، عندما جئت إلى أوروبا، عملت فى عدة جامعات، ومازلت أعمل حاليًا فى جامعة كامبريدج فى المملكة المتحدة، بالنظر إلى متوسط تكوين الجنس فى الأقسام المختلفة، سترى أن غالبية المعلمين هم من الرجال، وجزء صغير فقط من النساء. سألنى زملائى من المملكة المتحدة هذا السؤال أيضًا: «كم عدد النساء فى كليتك عندما كنتِ تعملين فى بلدك؟». وأجبت أن الرقم كان متمثلًا نسبيًا - من خمسين إلى خمسين. فوجئوا وسألوا: «كيف وجدت هؤلاء النساء وقتًا للأطفال وللأسرة ؟!» أجبت بطريقة ما نجحت نساؤنا السوفياتية فى إيجاد الوقت لكل شيء.

أعتقد أنه فى القرن الحادى والعشرين المليء بالتحديات، ستتاح الفرصة لمزيد من النساء فى آسيا الوسطى للارتقاء فى السلم الوظيفى حتى تُسمع أصواتهن الفردية ويصبحن معروفات ليس فقط فى الموسيقى، ولكن أيضًا كأعضاء فاعلين فى السياسة المحلية والاجتماعية. وأتمنى حقًا أن يكون لدى النساء الأفغانيات على وجه الخصوص أياما أكثر إشراقًا فى المستقبل.

ترجمة :
مروة أحمد عبد العليم